

## كتاب يحكي عبر الخرائط تاريخ ساحرة الرحالة

وحول مواضيع الكتاب يوضح الشعيلي أنها جاءت متنوعة لتشمل بعض الكتابات حول عمان في العصور القديمة، مثل الحديث عن حضارة مجان وعن عمان في خارطة بطليموس، ومن ثم الحديث عن أوضاع عمان في العصور الإسلامية ابتداء من قصة إسلام أهل عمان وعلاقتها بالدولة الإسلامية في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، وانتقالا إلى دولة الخلفاء الراشدين، مروراً بالدولة الأموية، وانتهاء بالدولة العباسية والقوى المرتبطة بها.

كما يتطرق الكتاب إلى النشاط التجاري للعُمانيين وعلاقاتهم في هذا الجانب مع العديد من المناطق المختلفة، مثل موانئ الخليج، ومناطق الصين وجنوب شرق آسيا، والموانئ الهندية، وموانئ شرق أفريقيا، إضافة إلى تجارة البن بين الموانئ العمانية وموانئ اليمن والخليج في عهد الإمام أحمد بن سعيد. ولأن عمان حظيت باهتمام الكثير من المؤرخين والجغرافيين والرحالة العرب والمسلمين والأوروبيين، فقد أفرد الكتاب مساحة كبيرة تناول فيها أهم ما كتب عن عمان في مؤلفات هؤلاء، وأهم ما ركزوا عليه في تناولهم لعمان، استناداً إلى الخرائط التي وضعوها عن عمان أو أشاروا إليها فيها، مثل الرحالة والجغرافيين العرب والمسلمين على شاكلة ابن حوقل والبكري والإريسي، أو الغربيين مثل نيبور وولستد وكوكس وويسجر ومايلز ولوريير ولاندرن، حيث تكشف المادة العلمية الغزيرة التي توفرت في مؤلفاتهم عن عمان، عن تفاصيل كثيرة تستحق التوقف عندها في إطار دراسة الواقع العماني في فترات مختلفة، وتشكل إضافة قوية للباحثين والمهتمين بدراسة جوانب كثيرة مرتبطة بعمان.

### الكتاب يسرد تاريخ عمان عبر الخرائط إذ حظيت باهتمام الكثير من المؤرخين والجغرافيين والرحالة العرب والأوروبيين

وحول المصادر والمراجع التي اعتمد عليها تحقيق هذا العمل، يقول الشعيلي "اعتمدت على مصادر ومراجع كثيرة ومتنوعة ذات الصلة بمواضيع الكتاب، كما سعت إلى إثراء الهوامش بالكثير من المعلومات والتفاصيل التي يستفاد منها، وإبداء الرأي في بعض الأمور في مواضيع من الكتاب الذي أهدف من خلاله إلى تقديم المعلومات بطريقة مختلفة وسهلة تقرب القارئ أكثر من عمان تاريخاً وحضارة، مدعومة بالخرائط حول المواضيع التي تم تناولها".

وفي ما يتعلق بمصادر الخرائط، فبخلاف المؤلفات التي وردت فيها، فقد وفر الكثير منها من مؤسسات وطنية مختلفة، تتمثل في هيئة الوثائق والمحفوظات الوطنية، والمتحف العماني الفرنسي، والمتحف الوطني، ومنحف قوات السلطان المسلحة، والهيئة الوطنية للمساحة، وكذلك بواسطة الشراء من مواقع متخصصة في بيع الخرائط في شبكة المعلومات الدولية.



عمان حضارة عريقة (لوحة للفنان أنور سونيا)

مسقط - يقدم محمد بن حمد الشعيلي، الأكاديمي والباحث في التاريخ العماني في كتابه الجديد "عمان في ذاكرة الخريطة" ثلاثين موضوعاً في تاريخ عمان وحضارتها، مدعومة بست وسبعين خارطة متنوعة عن سلطنة عمان التي يغوص عميقاً في حضارتها وتاريخها الذي سحر الرحالة العرب والغربيين. ويتحدث الشعيلي عن فكرة الكتاب وأهدافه، يقول "إن فكرة الكتاب انطلقت من البرنامج التلفزيوني 'بوصلة' الذي عرض على شاشة تلفزيون سلطنة عمان في شهر رمضان من عام 2020، وقامت فكرته على استعراض مجموعة من الخرائط وربطها بالأحداث التاريخية والمعلومات الجغرافية والاجتماعية الخاصة بالسلطنة، بمعنى أنه في كل حلقة وجدت خارطة أو أكثر، اتخذت مدخلاً لاستعراض الكثير من الأحداث والمعلومات المتعلقة بعمان في أطرها التاريخية والجغرافية الخاصة بالفترة الزمنية التي تدور حولها الخارطة، وهي الخرائط التي جمع عدد كبير منها من خلال معرض 'عمان في الخرائط التاريخية والعالمية' الذي أقيم في ديسمبر من عام 2018.

ويضيف الشعيلي "بعد نهاية عرض البرنامج بدأت العمل على إخراج المادة العلمية الخاصة بحلقات البرنامج مع الخرائط، في صورة كتاب جاء بعنوان 'عمان في ذاكرة الخريطة'، حيث يوفق المعلومات التي ذكرت، والخرائط التي عرضت، وذلك حتى يستفيد القارئ من المعلومات الواردة في تعزيز ثقافته عن الدور التاريخي والحضاري للسلطنة، ولكن مع توسع كبير وإضافات كثيرة لم يتم التطرق إليها في برنامج 'بوصلة'؛ يحكم محدودية الوقت الذي كان متاحاً في ذلك في البرنامج".

وحول عنوان الكتاب، يقول الشعيلي "جاء من كون أن فكرة مواضيعه تقوم على اعتبار الخرائط منطلقاً أساسياً في إعداد وجمع المادة العلمية المرتبطة بكل موضوع، دون التعمق في التفاصيل الجغرافية للخرائط بحيث تكون شارحة لذاتها، ولذلك وجدت مجموعة كبيرة من الخرائط التي تضمنها الكتاب، مما يجعله أكثر مؤلف عماني من حيث عدد الخرائط التي توفرت فيه".

ويتابع "كما هو معروف فإن الخرائط تعد وسيلة مهمة يمكن من خلالها الوقوف على الأهمية الاستراتيجية للدول، وتأكيد حضورها باعتبارها كياناتاً سياسياً له دوره بين الأمم، وتأثيره في الشعوب، وتحديد دورها الحضاري في مختلف المجالات، إلى جانب أنه يمكن الاستفادة من تفاصيلها الجغرافية في مختلف الأغراض والاستخدامات، وتكوين مادة علمية حولها ترتبط بالفترة الزمنية التي تشير إليها، وإلى الأحداث المصاحبة لها".

ويبين أهمية ما دونه واضعو الخرائط عن الدول في مؤلفاتهم، لافتاً إلى أنه لطالما توفر الاهتمام بعمان في الخرائط منذ القدم وصولاً إلى وقتنا الحاضر، سواء كانت خرائط خاصة بها، أو الإشارة إليها في الخرائط الإقليمية والقارية؛ بحكم الأهمية السياسية والجغرافية والثراء التاريخي والحضاري الذي حظيت به عمان على الدوام.

وبما سبق يتضح أن البات التناس قد أسعفتنا في فهم النص وتفسيره، وعلينا أن نستبعد السرقات وما يتصل بها من مفاهيم موروثية، لأن ذلك لا يدخل ضمن التناس الذي يعد عملية إبداعية فنية مقصودة عن وعي من المؤلف أو غير مقصودة صادرة من اللاوعي عنده، لكن الغرض الفني هنا من تعالق نص "الحجر العاشق" مع غيره هو بلورة رؤية فلسفية لدى المؤلف الذي يؤمن بالإنسان، وتحقق وجوده على الأرض، ذلك الإنسان الذي يقع ضمن منظومة الكون الواسع الكبير، وأن كل المخلوقات تتوحد في كينونة ثورية واحدة، تسبح الخالق العظيم، حتى في صراعها من أجل البقاء، إنما تحقق مشيئته الحتمية في تقدم البشرية لتصل إلى أفق لا يتخيلها إدراكنا المحدود.

لذا كان التناس مدخلاً نقدياً لبوابة العمل الروائي لدوره المهم في إنتاجية المعنى وتفصيل دور القراءة المنتجة التي تؤكس عملاً غنياً مثل "الحجر العاشق".

## حجر يسقط في عشق صاحبتة ويخوض رحلة عجيبة بين الأساطير والواقع

### «الحجر العاشق» رواية تستعمل التناس لتفكك صورة العولمة وتجلياتها



العشق يتجاوز المعقول (لوحة للفنان أسعد فرزات)

الروائي قناع المؤرخ مؤقتاً، أو بشكل أدق قناع القارئ المحترف للتاريخ الذي يحفر بعق في الأشياء بحثاً عن إجابات لفرصيات تشغله. فالروائي لا يعطي قيمة كبيرة للحقيقة التاريخية بوصفها حقيقة مطلقة، ولكن يستعيرها ويوظفها في عمله الإبداعي بوصفها جزءاً من الذاكرة الجمعية توظف في السرد لخدمته وإثرائه، وإيهام القارئ بواقعية ما يقرأ تارة، وليدخل التاريخ حقل الرواية مشروطاً بنظامها واتساع التخيل وحرية، ليترك صرامته وثوابته عند غابات الرواية تارة أخرى.

ولقد ظهر التاريخ على مدى صفحات "الحجر العاشق" ظهوراً جلياً يربط القارئ بماضي البشرية، ويصله بحاضره مستشرفا نحو مستقبله.

أخذنا شبلول في رحلة عن تاريخ الأساطير، واستدعى شخصيات الالات والعزى وذا الشرى وأفروديت وأرميس وإيليس وكليوباترا وقيصير وعمرو بن العاص وشامبليون ونيوتن، كما استدعى المواقع الشهيرة ففتح مصر، ومعركة أكتيوم البحرية قبلها، ثم جاء ذكر ثورة بنابر، وما حدث في مصر إبائها وتحتي الرئيس مبارك عن الحكم. لم يش شبلول أن يذكر سميرة موسى وقصتها، ومصطفى مشرفة وغيرهما من العلماء الذين سقطوا فريسة لأعداء الوطن. ويستعمل الكاتب كذلك الاقتباس، ومعناه أن يأخذ المبدع من القرآن والسنة ويديرهما في كلامه بطريقة صريحة أو غير صريحة. ولقد استفاد منهما شبلول في مواضيع شتى في روايته.

ومما سبق يتضح أن البات التناس قد أسعفتنا في فهم النص وتفسيره، وعلينا أن نستبعد السرقات وما يتصل بها من مفاهيم موروثية، لأن ذلك لا يدخل ضمن التناس الذي يعد عملية إبداعية فنية مقصودة عن وعي من المؤلف أو غير مقصودة صادرة من اللاوعي عنده، لكن الغرض الفني هنا من تعالق نص "الحجر العاشق" مع غيره هو بلورة رؤية فلسفية لدى المؤلف الذي يؤمن بالإنسان، وتحقق وجوده على الأرض، ذلك الإنسان الذي يقع ضمن منظومة الكون الواسع الكبير، وأن كل المخلوقات تتوحد في كينونة ثورية واحدة، تسبح الخالق العظيم، حتى في صراعها من أجل البقاء، إنما تحقق مشيئته الحتمية في تقدم البشرية لتصل إلى أفق لا يتخيلها إدراكنا المحدود.

لذا كان التناس مدخلاً نقدياً لبوابة العمل الروائي لدوره المهم في إنتاجية المعنى وتفصيل دور القراءة المنتجة التي تؤكس عملاً غنياً مثل "الحجر العاشق".

لكنتي لست لها، ومثال ليست حاتنيتا. من يدري! نعم أنا لست مجرد حجر تتجلى الباروديا هنا، وعلى مدار صفحات الرواية، حيث يتكئ شبلول على الأسطورة، وينسجها مع معطيات الشخصيات ذات المرجعية الواقعية كالدكتورة مثال، ويجدها بجذبة ساخرة لا تملك إلا أن تتبسم وأنت تقرأ عن المرأة التي يمكنها أن تحمل بابس الحجر في القرن الحادي والعشرين، ولكن السرد الذكي يأتي بهذا من خلال وعي زمر ومناجاته لنفسه عن طريق المونولوج الداخلي.

كما يتأسس النص الروائي على المعرفة الخلفية للمؤلف والمتلقي، ويتضح ذلك من ثقافته الواسعة التي ظهرت بوضوح شديد في الأساطير والتاريخ والفيزياء وأنواع الأحجار، وهي ما أسماه في عتبة نصه بالمعلوماتية.

يمتلئ نص "الحجر العاشق" بكثير من المعلومات حول الأحجار والمعادن والتكنولوجيا ووسائل التواصل والتاريخ القديم والتاريخ الحديث، ويحيل القارئ إلى عصور قديمة، ومعارف حديثة في مناح عديدة من الحياة، وكأنه صورة متجسدة للعولمة وتجليها في نص إبداعي، مما يتطلب قارئاً على نفس المستوى متسلحاً بخلفية معرفية تواكب مبدعاً مثل شبلول، وتمكنه من تحليل النص ونشرجه وإعادة تركيبه بمودنة نقدية جديدة.

### التوازي والاقتباس

من الأساليب المعتمدة أيضاً نجد النصية الموازية، وتعني ما يجاور النص الإبداعي، أو محيط الدائرة النصية له من عناوين وإهداء وخارف، وقد يطلق عليه بعض النقاد النص المصاحب، أو عتبات النص.

ولقد صدر شبلول عمله بإهداء إلى "عميد عائلة الأحجار" ثم أعقب ذلك في الصفحة التالية بعبارة "المعلوماتية والخيال العلمي في مواجهة الخرافة والأسطورة"، وفي نهاية العمل أوضح أنه يدين به إلى كتاب "مستقبل العقل" للأمريكي الياباني ميشو كاكو، وكذلك كتابه هو "عائلة الأحجار". وتلفتنا النصية الموازية هنا إلى فهم رمزية العمل، حيث يؤمن مؤلفه بالمستقبل، وبأن العلم سحر البشرية وطموحها الدائب، لكن المشاعر النبيلة تبقى كما ختمت الرواية، مشاعر المحبة والخير والجمال في توحيد الإنسان بالحجر رمزا أصيلاً لذلك الحب العجيب بين زمر ومثال. كما يستدعي شبلول الموروث والوقائع والشخصيات التاريخية، فقد يلبس

في الأفراح والليالي الملاح، ولا توجد أجمل من تلك الليلة. لم أعرف أنها تجيد الرقص الشرقي إلا عندما شاهدتها الآن. تقدم تابلوهات شرقية راقصة مثل التي قدمتها سامية جمال وتحية كاريوكا ونعيمة عاكف، إن لم تكن أروع".

أخذ الماء يصدر الحانا وأصواتا إيقاعية، استجابت هدى لها، فقدمت ألواناً أخرى من الرقص الشرقي والهندي والأفريقي، وفنونا جديدة لم أشاهدها من قبل، ولم أعرف ماذا أسميها. قامت حوريات البحر وأخذن يرقصن مثلهن. استخف الرقص بجنية البحر مليكة البحار وأم الماء، فأخذت تدندن في البداية، ثم قامت من على عرشها وأخذت تقلد هدى في حركاتها ورقصها واهتزاز جسدها وتردده ونذبباته. قالت: الآن أزوج الشمس للقمر، والسماء شاهدة على ذلك.

ثاني أنواع التناس النصية الخارجية، حيث يفيد الأثر الأدبي من التشكيلات الرمزية المؤسسة من قبل، والتي استقرت في أذهان الجمهور، من ذلك استدعاء شبلول الرموز الشهيرة، يقول "التقيت الرجل الذي يشبه كمال الشناوي أو خالد صفوان في الكرك هو النموذج الأمثل لرجل الأمن الذي تستدعيه ذاكرتي".

والحديث عن فيلم "أفاتار" الشهير، وشجرة الاحتفال المقدسة لشعب نافي، حيث يضرب المؤلف الأمثال، أو يسقط على علاقة الشعوب الضعيفة بالأمم الاستعمارية القوية التي تريد أن تنهب الثروات بإشغال الحروب في العالم الثالث.

يعتمد شبلول في روايته على الباروديا، وهي المحاكاة الساخرة التي يتقاطع فيها الواقع واللاواقع، الحقيقة واللاحقيقة/الخيال، حيث تقوم الرواية كلها على شخصية الحجر زمر العاشق الذي يقع في غرام صاحبتة الدكتورة مثال عثمان، والذي يأخذنا في رحلة عجيبة من الأساطير والواقع والتاريخ والوقت والراهن، من العلوم والحقائق العلمية إلى شغف المستقبل وسحر الوهم، هذا الحجر ذو الوعي الحجري الذي يشبه كثيراً الوعي البشري، هذا الحجر الذي يفيض رقة وعذوبة وعشقا وغيره على محبوبته من زوجها، الزمر الذي يمتزج بروح مثال ويسري في مشاعرها، ويدغدغ أوصالها، ويجرك عواطفها، بل ويؤججها لتصل معه إلى نشوة عجيبة، لا تجدها مع زوجها.

يقول "ترى لو ظهرت أعراض الحمل الآن بعد شكوك الدكتور علي حول العلاقة بيني وبين مثال سيعتقد أن ما في بطني جاء مني؟ يبدو أن ما جاء في حكاية الإله 'ذو الشرى' من الممكن أن يتكرر في القرن الحادي والعشرين،

أجمعت الرؤى النقدية الجديدة على نفي وجود نص بكر صاف خال من آثار الملامسات النصية، فكأن النص الأدبي اجتماعي بطبعه، أو هو جمع بصيغة المفرد، فهو فرد ناطق في قبيلة لغوية وثقافية، تتوقف حياته فيها على التواصل مع سائر أفرادها، لذا فالتناس يشبه الضرورة الأدبية للنص الجامع، وفي قراءة لرواية "الحجر العاشق" نكتشف أنماطاً متنوعة من التناس.

### سحر شريف

التناس من أهم المفاتيح الإخراجية لفهم الأدب ورصد عملية الثقاف والحوار بين الحضارات الفكرية والفنية والأدبية. يساعد التناس على الدخول إلى أغوار النص، واستكناه دلالاته وتفاعلاته الخارجية والداخلية، لأن النص ما هو إلا شبكة من العلاقات والتفاعلات الذهنية ونسق من المصادر المضمره والظاهرة التي تتوارى خلال الأسطر، وتتمدد في ذاكرة المتلقي.

ونص "الحجر العاشق" لأحمد فضل شبلول كغيره من النصوص يتناس مع غيره من نصوص كثيرة، ليس هذا فحسب بل إنه بوصفه عملاً روائياً يتعالق مع عصور من المعرفة الإنسانية والحضارية والتاريخية.

### أنواع التناس

من أنماط التناس الذي نجده في "الحجر العاشق" التناسية الداخلية، ومعناها دوران الأثر الأدبي حول ذاته، واستعماله لأثار مستعملة من قبله أو من إنتاجه.

وأمارات ذلك في النص الذي بين أيدينا من العنوان "الحجر العاشق" وهو ثالث ثلاثة من ثلاثية العشق: الماء العاشق، واللون العاشق، والحجر العاشق، للمؤلف نفسه، وهي أعمال مختلفة في موضوعاتها.



ليس هذا فحسب، بل نجد الكاتب يستدعي شخصيات من الرواية الأولى "الماء العاشق" مثل عمر ياسين الذي جعله مرتبطاً باصرة صداقة مع بطناً زمر أو الحجر العاشق، وكذلك استدعى أماكن من الرواية الأولى كبئر مسعود في سيدي بشر.

كذلك استدعى شبلول شخصية جنية البحر (أم الماء) من الرواية الأولى "الماء العاشق" وكرر نفس المشهد "قالت له على مسمع مني: هذه الليلة جئت من أجلك أنت يا عمر"، واقتباسه من كتابه "عائلة الأحجار".

كما ذكر شبلول حفل الزفاف الذي ستقيمه الملكة كليوباترا وجنية البحر وهدى تحت الماء في روايته "الماء العاشق". يقول شبلول في روايته "الماء العاشق" عن حفل الزفاف تحت الماء "طلبت كليوباترا من هدى أن ترقص، فهي تعرف أن المصريات بارعات في الرقص، خاصة